

قصة حادثة للكاتب نجيب محفوظ كان يتكلم في تليفون الدُّكان بصوت مُرتفع، يُسمع صوته رغم ضوضاء شارع الجيش الصالِّح، وجعل يميل بنصفه الأعلى داخل الدُّكان ليبعد ما أمكن عن الضوضاء، ثم ختم حديثه بقوله: "إنتظري سأحضر فوراً".

طويل القامة نحيلها وروي الجبهة والعينين. مُكَوِّر الذقن وأما صلعته فلم يبقَ فوق مرأتها إلا جذور شعر أبيض مثل منابت شعر ذقنه، وقد أفسح مظهره عن إهمال صريح نتيجة للسن أو الطبع أو نسيان الذات، على ذلك كان يتمتع بحيوية مرحة وتلتمع عيناه بنشاط وابتهاج. وبدأ أنه ينظر إلى الداخل لا إلى الطريق ثم مال يمنة بمحاذة صف من اللوريَّات الواقفة نسق التوار حتى وجده متقداً إلى الشارع، مرق من المتنفذ ليعبر الشارع إلى ضفته الأخرى، وما كاد يجاوز مُقدمة اللوري الأخير حتى شعر بسيارة فورد تنفع نحوه بسرعة فائقة. وقال أحد الشهود فيما بعد إنه كان عليه أن يتراجع بسرعة وإنه لو فعل ذلك لنجا رغم سرعة السيارة، ولكنه لسبب ما لعله المفاجئة أو سوء التقدير وثب إلى الأمام وهو يهتف "يا ساتر يارب" وجرت الحوادث متلاحقة. ندَّ عن الرجل صرخة كالعلاء وفي ذات الوقت انطلقت صرخات الفزع من المارة الواقفين على التوار، وفوق إفريز محطة الترام صدر عن فرملة الفور صوت محشrig متسلق ممزق وهي تزحف على الأرض بعجلات متوقفة جامدة وهرع نحو الضاحية في ثوان عشرات وعشرات كأسارب الحمام، حتى تكون منهم سور غليظ منيع وانتشر في المنطقة الهرج، ولم ينبض جسم الرجل بحركة واحدة، وكان منكفاً على وجهه ولا يجرؤ أحد على لمسه وإندي رجله ممدودة إلى آخرها والأخرى منثنية منحصر البنطلون عن ساق نحيلة غزيرة الشعر، وقد فقدت حذائهما، الرجل وهو يرتفع في الفضاء امتارا ثم يهوي فوق الأرض كشيء، وبسرعة وبدون أن ينظر إلى يساره كما يجب، وإذا لم يجد وجهها مستجيهاً عاد ليقول بلهجة خطابية: "لم يكن بإمكانني تفادي الصدمة". لكنه طار في الهواء والعياز بالله" وجاء شرطي مسرعاً وفتح له وقع قدميه ثغرة في السور الآدمي، نفذ منها وهو يصبح في الناس أن يبتعدوا خطوات. خطوات فقط وعيتهم لا تحول عن الرجل ولا تخفي حِدة تطلعها وإشفاقها وشقاقها وقال إنسان: "سيبقي هكذا حتى يموت ونحن لا نفعل شيئاً" فأجابه الشرطي بلهجة رادعة "أقل لمسة قد تقتله، وبوليس النجدة والإسعاف في الطريق إليه" واعتراض الحادث جانب الطريق وأضطررت السيارات إلى الإلتفاف حول السور البشري مشاركة الترام في مشاة. فضاق بها حتى تحركت في بطيء شديد وتجمعت في صفوف ممتدة ومتدخلة وهي تصرخ وتعوي بلا فائدة، ومن ركبها تلعلت أعين إلى الضاحية في اهتمام وأعين تجنبت النظر في جذع وجاء بوليس النجدة وراء صفارته الحلوذنية فاتسعت الحلقة وغادرت القوة السيارة إلى الرجل الملقي وكان الضابط حاسماً وحازماً، فأصدر أمراً بتفريق المتجمعين، وتفحص الرجل بنظرة شاملة وسأل الشرطي: "ألم تحضر الإسعاف؟" وإذا لم تكن ثمة ضرورة إلى السؤال فإنه لم يلق بالاً إلى الجواب، وتسائل مرة أخرى: "هل من شهد؟" فتقدَّم ماسح أحذية وسائق لوري وصبي كباقي كان عائداً بصينية فارغة، وأعادوا على مسمع الضابط ما حدث منذ ما كان الرجل المجهول يتكلم في التليفون. وجاءت سيارة الإسعاف وأحاط رجالها بالرجل، وتفحصه رئيسهم بعناية وحذر وهو يجلس القرفصاء، ثم نهض متوجهاً إلى الضابط فبادره هذا قائلاً: "أظن يجب نقله إلى الإسعاف"، وأدرك الضابط ما يعني ذلك على حين استطرد رجل الإسعاف قائلاً: "أعتقد أن الحال خطيرة جداً". وعندما أرقد الرجل بحجرة الفحص في مستشفى الدمرداش، ثم التفت إلى مساعدته قائلاً: "إصابة خطيرة في الرئة اليسري، عملية!" فهز رأسه قائلاً: "إنه يحتضر!" وصدق فراسة الطبيب فلقد تحرك الرجل حرقة شاملة كالرعشة واضطرب صدره اضطرباً متلاحقاً متحسراً، ثم شهق شهقة خفيفة واستكثن، وجاء ضابط النقطة والراجل ما يزال راقداً بكمال ملابسه، عدا فردة الحذاء المفقودة، وقال الطبيب: "هذه الحوارث لا تنتهي"، فقال الضابط وهو يوميء إلى الفقيد: "شهادة الشهود ليست في صالحه"، وشرع في عمله على حين بسط له الشاويش المرافق له ورقة فوق منضدة، ودس الضابط يده برفق في جيب الجاكتة الداخلي فاستخرج حافظة نقود قديمة متوسطة الحجم ومضى يفتحها جبها جبها، ويملي على الشاويش: "خمسة وأربعون قرشاً من العملة الورقية، روشتة للدكتور فوزي سليمان"، وألقى نظرة عابرة على أسماء الأدوية، إذ أن تعليمات شبيهة صدرت إليه من طبيبه في نفس الشأن، ثم واصل إملاؤه وأصابعه تستخرج من الحافظة محفوظاتها. ولما لم يجد شيئاً آخر في الحافظة قال بضمير: "لا توجد بطاقة تحقيق شخصية"، وانتقل إلى الجيب الداخلي وما لبث أن قال في فتور: "ثلاثة قروش ونصف عملة معدنية" وتوالي التفتيش وتتابع الإملاء، فأمل أن يصادف فيها ما يستطيع أن يستند به على شخصية الرجل. نظر أول ما نظر على الإيماء ولكن لم يزد عن "أخوك عبد الله"، فعاد إلى رأس الصفحة ولكن الرسالة كانت موجهة "إلى أخي العزيز أدامه الله" فاستاء من هذه المعاندة ولم يجد بداً من قرائتها. وامتد بصره فوق الوجه الأسطر إلى الوجه الباهت المشئوب بزرقة مخيفة المغلق كسر، ذلك الذي تحقق له أكبر أمل في الحياة وتسائل الطبيب عثرت على شيء: فانتبه إلى نفسه وابتسم ابتسامة إستهانة ليدل على اعتياده أي شيء وقال "اليوم تحقق لي أكبر أمل في الحياة" بذلك بدأت الرسالة وعاد إلى القراءة متجنباً النظر إلى عيني الطبيب، فقد انزاحت عن صدري

الأعباء المريرة، أمينة وبهية وزينب في بيتهن، وكلما ذكرت الماضي بمتاعبه وكده وشقاءه أحمد الله المتنان، وهذا هو النصر المبين" ، واسترق النظر مرة أخرى إلى الإنسان الراحل الذي لا يدرى أحد مقره، الذي يتثير الدهشة بصمته و انزعاله وارتداده العميق إلى المجهول، وبعد تفكير طويل، قرّرأي على ترك الخدمة فعلاً، قصة حارثة للكاتب نجيب محفوظ كان يتكلّم في تليفون الدُّكَان بصوتٍ مرتفع، يُسمِّع صوْتَه رغم ضوضاء شارع الجيش الصاخب، وجعل يميل بنصفه الأعلى داخل الدُّكَان ليبتعد ما أمكن عن الضوضاء، ثم ختم حديثه بقوله: "إنتظري سأحضر فوراً". كان في الستين أو نحوها، طويل القامة نحيلها ورؤي الجبهة والعينين. مُكَوَّر الذقن وأما صلعته فلم يبقَ فوق مرآتها إلا جذور شعر أبيض مثل منابت شعر ذقنه، وقد أفسح مظهره عن إهمال صريح نتيجة للسن أو الطبع أو نسيان للذات، على ذلك كان يتمتع بحيوية مرحة وتلتمع عيناه بنشاط وابتهاج، وبدا أنه ينظر إلى الداخل لا إلى الطريق ثم مال يمنة بمحاذاة صف من اللوريات الواقفة نسق التوار حتى وجد متFDA إلى الشارع، مرق من المنفذ ليعبر الشارع إلى ضفته الأخرى، وما كاد يجاوز مقدمة اللوري الأخير حتى شعر بسيارة فورد تندفع نحوه بسرعة فائقة. وقال أحد الشهود فيما بعد إنه كان عليه أن يتراجع بسرعة وإنه لو فعل ذلك لنجا رغم سرعة السيارة، ولكنه لسبب ما لعله المفاجئة أو سوء التقدير وثب إلى الأمام وهو يهتف "يساتر يارب" وجرت الحوادث متلاحقة. ندت عن الرجل صرخة كالعواء وفي ذات الوقت انطلقت صرخات الفزع من المارة الواقفين على التوار، وفوق إفريز محطة الترام صدر عن فرملة الفورד صوت محسّر متشنّج ممزق وهي تزحف على الأرض بعجلات متوقفة جامدة وهرع نحو الضحية في ثوان عشرات وعشرات كأسراب الحمام، حتى تكون منهم سور غليظ منيع وانتشر في المنطقة الهرج، ولم ينبع جسم الرجل بحركة واحدة، وكان منكفاً على وجهه ولا يجرؤ أحد على لمسه وإندي رجلية ممدودة إلى آخرها والأخرى منثنية منحسرة البينطلون عن ساق نحيلة غزيرة الشعر، وقد فقدت حذائهما، وكأن الأمر لا يعنيه البتة. الرجل وهو يرتفع في الفضاء امتاراً ثم يهوي فوق الأرض كشيء، أندفع هو من أمام اللوري فجأة، وبسرعة "، وبدون أن ينظر إلى يساره كما يجب